

حوار بين

العلاقة الجدلية بين الله والانسان

شخصيات المحاوره:

صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي، سيدة ثرية جميلة مثقفة.

سليمان: مثقف يحمل لواء العقل وسيادة قوانينه.

حسام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبط.

ربيعة: صاحبة ومديرة مدرسة خاصة.

ألينا: راقصة ومدربة تانغو.

طوني: رجل أعمال ناجح.

صونيا:

يا من يعذبني بمبسم ثغره
وبزهو خدٍ ورده يتفتح
يسطو عليّ بغنجه ودلاله
ورخيم صوتٍ بالقصيد يرندح

على حائط مقهى في شارع الحمراء لوحة معلقة كتب عليها بالخط الكوفي...
الشيخوخة منتهى الشباب.. دائماً وأنا أحتسي قهوتي في ذلك المقهى، أهدق ملياً في
تلك اللوحة، وأشرق وأغرّب في تأملاتي.. ترى هل الشيخوخة التي بنتنا منها قاب
قوسين أو أدنى، هي منتهى الشباب بمعنى إكمال نضجه، كما العنب عندما يكتمل
نضجه يغدو مهياً لينتقل من مرتبة العنب الى مرتبة الخمر، هل الشيخوخة هي كمال
الشباب تماماً كما الصيف هو كمال الربيع، فالزهور في الربيع والثمر في الصيف،
الخضرة في الربيع والحصاد في الصيف، أم أنّ الشيخوخة منتهى الشباب بمعنى
نهايته واضمحلاله خطوة إثر خطوة حتى تلاشيه وانتقاله من الوجود الى العدم، من
الحياة الى الموت، ليت شعري لست أدري.

سليمان: لا يوجد عدم لينتقل من الوجود الى العدم، ولا يوجد موت لينتقل من الحياة
الى الموت، فالعدم ليس إلا حالة من حالات الوجود، وكذلك الموت هو حالة من
حالات الحياة، الأصح أن نقول إنه ينتقل من الوجود بالفعل الى الوجود بالقوة.

حسام: كيف تقولين أنّ الشيخوخة قد أصبحت منك قاب قوسين أو أدنى، والألق
يتوهج من عينيك، والإبتسامات ترقص السامبا فوق شفثيك، ألا يكفيك تمرد الأثداء
على قميص الحرير وجموحها الى أعلى عليين لكي تسمو بتوثبها وتكون علّة السمو
لكل ناظر اليها شاهدٍ عجة سموها؟ وهذه القامة الهيفاء التي تنتنى كقضيب خيزران
فتنتشي معها الأحاسيس وتنتنى الرغبات، وذاك الخصر الذي يكاد ينقطع فوق
أردافٍ رجراجة تتأرجح فتؤرجح معها ألف نزوة مكبوتة وألف رغبة شاردة،
سيدتي إذا كان لمثل الشباب ممثلٌ فأنت ممثله، وإذا كان للأنوثة فتوةٌ فأنت فتوتها،

وإذا كان للعاجزين بأحلامهم وآمالهم ورغباتهم حافزٌ للإستنهاض فأنت حافزهم، سيدتي أنا لا أرى فيك إلا تجسداً جديداً لعششروت وهي تجرُّ وراءها خضرة الربيع وزهوره وشذى وروده ورياحينه.

الينا: أنا لا أخاف على مجتمعنا من التقهقر حضارياً الى حدود البداوة طالما فيه رجالٌ إحساسهم الجمالي مرهف وشفاف يكاد يلامس حدود القداسة، ونساءً قادرات بتهديبهنَّ وأناقتهنَّ ولباقة تصرفاتهنَّ والإطلاقات البهية والرشيقة والوعي المواكب للتطور، من الإيحاء للرجال بالأحاسيس الرقيقة والأفكار المجنحة.

طوني: مهما حاولنا تجميل الواقع الذي نعيشه، والقفز فوق مطباته، ساعين الى الإنفتاح والحوار والتفاعل، ومتشوقين الى التطور والإرتقاء باتجاه بناء مجتمع مدني علماني عقلاني له مكانته المرموقة في موكب الحضارة العالمي، إلا أننا لا نستطيع تجاهل مأساتنا المتجذرة في عدم الإلتواء الى الأرض والتاريخ والجغرافيا ولعب دور التاجر الشاطر الذي يبيع كل شيء إذا ما ظنَّ الصفقة رابحة حتى هويته وكيونته.

ربيعة: مشكلة الإنسان مع نفسه ومع ربّه قبل أن تكون مع المجتمع والوطن والقومية والإنسانية، هل يسعى الإنسان صادقاً وجاهداً لتحقيق إنسانيته، وهل تتحقق إنسانيته إلا بالمعرفة والعدالة والتوازن والإبداع والتطور والإرتقاء، وهل يمكن أن يتصالح مع ربّه ويتوكل حقّ توكل ويسلم حقّ تسليم وهو يرتع في مستنقعات الجهل والتعصب والحقد والحسد والروح العدوانية والسعي اللامحدود الى التملك والإستنقاع في الشهوات والملذات وعبادة الأشخاص والنصوص؟

صونيا: بالمعرفة نبني وبالجهل نهدم، بالتحاور نبني وبالتفوق نهدم، بالتسامح والغفران نبني وبالتعصب والحقد نهدم، بالديموقراطية والعلمانية نبني والديكتاتورية والبيروقراطية نهدم، ولكننا مجتمعون اليوم لنتحاور في مسألة العلاقة الجدلية بين الله والإنسان، لقد أضاءت لنا ربيعة شمعة تدلنا على الطريق، وما علينا إلا شدّ الرحال والمسير.

سليمان: كلما قرأت عبارة، وما خلقت الخلق إلا ليعبدوني أي ليعرفوني، جالت بذهني أفكارٌ وأفكار، أولها أنّ الله فطر النفوس الإنسانية على الوعي والحرية، فهاتان الخاصتان هما جوهر النفس الإنسانية، وبهما إكتسب الإنسان هويته كإنسان، ولكي لا يكون للإنسان على الله حجة في عجزه عن معرفته عرف الإنسان ربه موجوداً وليس معدوماً، وعندما عرفه موجوداً أدرك بُعده عن المماثلة والمشاكلة، وأدرك أن ليس كمثلته شيء فنزّهه وتيقن أن لكل فردٍ رؤيته لله الخاصة به، ولكل فردٍ طريقه الى الله الخاص به.

ألينا: هل معنى كلامك أنّ الإنسان مفطورٌ على التفتيش عن المعرفة بجهد صادق إذا ما أراد أن يكون منسجماً مع إنسانيته.

طوني: عندما نقول أنّ الله موجود فأول ما يتبادر الى أذهاننا أنّ الله حجم، طول وعرض وعمق وتحده ستة نقاط، فوق وتحت ويمين ويسار وأمام ووراء، وأنّ الله صورة وملامح، وكل ذلك يجعل الله محدوداً بمكان معين وزمان معين فهل معنى ذلك أنّ بقية الأمكنة والأزمنة خالية من الله؟ ونحن بالعقل ندرك أنّ الزمان والمكان في قبضة الله وليس الله في قبضة الزمان والمكان فالوجود كله ممتليءٌ بالله.

ربيعة: الوجود ممتليءٌ بالله ولكن الله ليس الوجود، لأنّ العدم هو حالة من حالات الوجود والوجود مزدوجٌ بالعدم وحاشا الله من الإزدواج.

ألينا: كيف سيتواصل الإنسان مع الله إذا لم يتأنسّن الله، نقول إنّ الله في السماء، وعندما نصلي نرفع رأسنا الى السماء، وعندما نقوم بالدعاء نرفع رأسنا الى السماء، فهل السماء منزل الله والأرض منزل الشيطان؟

صونيا: والبعض يقول أنّ السماوات سبعة، وأقاليم الأرض سبعة، والبحار سبعة، وأيام الأسبوع سبعة، وطول الإنسان بشبره سبعة أشبار، وفي وجه الإنسان سبعة خروق، طوفان من الطلاسم التي تتعمد إغراق الإنسان في الحيرة والشك والإرتباك، ويقولون أنّ عرش الله في السماء السابعة، أليس هذا تحديداً لله وإعترافاً ضمناً أنّ المكان يحيط بالله وليس هو الذي يحيط بالمكان.

حسام: لماذا الكل يريدون أن تُبنى العلاقة بين الله والإنسان على مبدأ الغموض ولا يريدونها علاقة واضحة صريحة، والله نفسه أرادها علاقة واضحة صريحة عندما طلب من الناس معرفته، فلو لم تكن معرفته في حدود إمكانيات الإنسان لكان الطلب لا معنى له، بل لكان الكلام لغواً، وحاشا الله من اللغو، فمعرفة الله إذن في حدود إمكانياتنا ولكن كيف نعرفه؟

سليمان: عجزنا عن الإحاطة بمعرفة الله هي عين معرفته، فنحن نعرفه على قدر حُبنا له وانجذابنا إليه، ولما كان الممثل لا يجذب إلا إلى مثله الأعلى، ولما كان الله هو الخلق والإبداع والعطاء والرحمة والغفران والمعرفة، كان المنجذب إليه إنساناً يحاول أن يتماهى بماهيته ويتصف بصفاته، وإلا فالنتيجة تنافر وليس تجاذب، وبعد وليس قرب، وكراهية وليس محبة.

ألينا: هل معنى ذلك أن الإنسان لكي يحب الله وينجذب إليه يجب أن يسعى ليكون مبدعاً عارفاً رحيماً معطاءً غفوراً متسامحاً؟

طوني: هذا يعني أن أهل الشرق الأوسط هم أبعد الناس عن الله وأكثر الناس جهلاً بمعرفته، فهم أهل إتباع وليسوا أهل إبداع، بل هم يعتبرون كل إبداع ضلالاً وخروج عن سراط السلف، وهم ليسوا أهل معرفة وعرفان بل عبدة نصوص وأشخاص وقبور وكتب صفراء. أما الرحمة عندهم فحدث ولا حرج، منذ آلاف السنوات وهم يقسمون الأمة إلى قبائل والقبائل إلى عشائر والعشائر إلى أفخاذ وبيوت وكلها تتقاتل وتتناهش بالناب والمخلب، كذلك يقسمون الأديان إلى مذاهب وفرق وزوايا وتكايا كلها يكفر بعضها البعض ويستحل الدماء والأعراض والأرزاق، والأدهى من كل ذلك أنهم يعتبرون أنفسهم شعوب الله المختارة وكلُّ يغني الإختيار على ليله.

ألينا: هذا شيءٌ بديهي فبدون العقل نحن كائنات حيّة تسيرها الغرائز، وقوانين الغرائز قوانين جبرية مبرمجة من قبل العقل الكلي الذي يدير شؤون هذا الوجود، ولذلك لا يمكن إعتبار أصحابها لا في فئة الخير ولا في فئة الشر، لا في فئة الظلم ولا في فئة العدالة، لا في فئة الحق ولا في فئة الباطل.

سليمان: عندما أبدع الله نفوس البشر الناطقة من نوره الشعشعاني خصها دون سائر المخلوقات والمبدعات بالعقل، وزرع في جوهر ذلك العقل بذرة الحرية والمسؤولية والمشاركة في لعبة الخلق، فغدا الإنسان يخلق عمله بإرادة حرة مسؤولة، من أجل ذلك لا يستطيع أن يعرف الله إلا العقلاء الأحرار، هم وحدهم المؤهلون للتواصل معه عبر العقل الكلي، وهم وحدهم الذين يعرجون في معرفته من منزلة إلى منزلة حتى بلوغ حدود العقل الكلي الذي لا ينقطع عنه فيض النور الإلهي طرفة عين.

ألينا: ألا تعتقدون أنّ الرقص يساهم في تحرير الجسد من كثافته ويعطيه من المرونة والطواعية ما يجعله على مجانسة الروح اللطيفة الشفافة؟

ربيعة: والموسيقى ألا تساهم في تحرير العقل من القوالب المعرفية الجامدة التي تصنم الإنسان وتعرقل عملية التطور والإرتقاء؟

حسام: كل فنّ ينمي الأحاسيس الجمالية يساهم في تحرير العقل والعاطفة والغريزة، وعلى رأس تلك الفنون يقف الشعر، ألم يقل أرسطو قبل عشرات القرون أنّ وظيفة الشعر هي التطهير، أي تطهير النفس من الخوف والقلق وتحريرها من وطأة الغريزة التي تشدها إلى حماة الصلصال اللازب.

صونيا: ولكن الشعر هذه الأيام يستعمل كمقبلات لإثارة المشاعر الجنسية، فهو لا يزدهر إلا على طاولات الشراب ويختلط هناك بالنكات الماجنة والطرائف الداعرة، لم يعد الشاعر لسان قومه وضميرهم والمعبر عن قيمهم ومناقبهم والمربي لعقولهم والمهذب لأحاسيسهم، لقد غدا الشاعر للأسف مبتكر إستعراضات بالكلام الملون الفاحش فقط ليدغدغ غرائز الأغنياء والمتنفذين والمكبوتين وشذاذ الآفاق، هذا ما صنعتها ثقافة البترودولار وثقافة الأنظمة الشمولية البوليسية في شعرنا وشعرائنا، فهم مخيرون بين أن يصبحوا مهرجين أو أزلام ليكون لهم نصيبهم من خيرات البترودولار، أن يكونوا أبواق نظام ديكتاتوري يروج لشعاراته وأكاذيبه، أو يودعوا السجون أو يطردوا خارج أسوار الهيكل.

حسام: إذا كان الوجود ممثلئاً بالله فمعنى ذلك أنّ التواصل مع الله ليس عبر النصوص الدينية فقط، بل التواصل مع موجودات هذا الوجود، ولما كانت

موجودات هذا الوجود هناك قوانين تضبط صيرورتها في عملية التشكل والتلاشي، الإجتماع والتفرق، المدّ والجزر، الموجب والسالب، كانت معرفة هذه القوانين توأصلاً مع العقل الكلي المسؤول عن نظام وتنظيم هذه الموجودات.

أليناً: وبذلك يكون العلماء أكثر قرباً الى الله من أي أناسٍ آخرين، لأن مهمة العلماء الرئيسية هي إكتشاف القوانين التي تضبط صيرورة الموجودات إبتداءً بالمجرات وإنتهاءً بالذرات.

ربيعاً: ولكن القوانين التي تنظم صيرورة الإنسان وتساعد على الوصول الى تحقيق كمال إنسانيته هي قوانين إختيارية وغير جبرية، الإنسان حرّ أن يطيعها فيكافأ بالطمأنينة والسكينة والراحة والسلام والإرتقاء والتعريح في معرفة الله من منزلة الى منزلة أعلى حتى يصل الى المعلومات الإلهية والفضائل البرهانية والمعرفة التي تُطلب لذاتها ولا تُطلب لغيرها، وكذلك هو حرّ أن يخالفها فيعاقب بالقلق والإضطراب والفوضى وثورة غرائز التملك والتسلط والإستئثار والإغتصاب والشهه والتخبط في التناقضات.

طوني: ولكن العلماء لا يحاولون إكتشاف القوانين التي تضبط صيرورة الموجودات من أجل التناغم معها والمكافأة على ذلك بالطمأنينة والسلام والمحبة والعدالة، بل من أجل التحكم بتلك الموجودات وتسخيرها لمنافع المستثمرين الأمر الذي يزيدهم إستقواءً على المستهلكين ويزيدهم قدرةً على التحكم بالسوق لمزيد من إبتزاز الضعفاء وإستغلالهم وتقديم أقصى الرفاهية والإستقواء للأقوياء. دلوني على إكتشاف واحد لقوانين الفيزياء والكيمياء والاحياء والفلك إستعمل لخير البشرية وسعادتها ولم يستعمل سلاحاً بيد الأقوياء لمزيد من إستعباد المتخلفين.

حسام: بهذا يكون التطور العلمي لا تعنيه الأخلاق والقيم والمثل، كل ما يعنيه هو القدرة على الإستثمار والربح والسيطرة والإبتزاز، من هنا نلاحظ هذا التناقض الفاضح اليوم بين أناس وصلوا في تطورهم التكنولوجي الى حدود المستحيل وزادت أخلاقهم توحشاً، فالروح العدوانية زادت، وكذلك الميول نحو الشذوذ والتلذذ

بالإغصاب وإراقة الدماء وتعذيب الآخرين، والبذاءة في ممارسة الحب، والإستمتاع بالتعدي على النفس والتعدي على الآخرين.

سليمان: من واجب الإنسان البحث عن القوانين التي تضبط صيرورة موجودات هذا الوجود، لأن هذه القوانين هي خميرة الله في هذا الوجود، ومن واجبه التناغم مع تلك القوانين لأن مخالفتها هي مخالفة للإرادة الإلهية، وعليه أن يعلم أن إكتشاف تلك القوانين ليس إمتيازاً في يديه لكي يبتز الآخرين ويستعلي عليهم بأخذهم مطيةً لرغباته وشهواته ومطامعه فيخرج تلك القوانين عن مسار صيرورتها، بل أن يعرف كيف يحترم الخالق في مخلوقاته، وكيف يقده من خلال إستنهاض نفسه وإستنهاض الآخرين وإسعادهم، فمقولة أن كل بني البشر وحدة غير قابلة للإنفصام هو أحد هذه القوانين، وتناغم الإنسان مع الطبيعة هو أيضاً أحد هذه القوانين.

ربيعة: ولكن كل ما نراه حولنا هو إستغلال الإنسان للطبيعة بأبشع الوسائل، وكأن لا عمل للإنسان إلا إفساد الطبيعة والعبث بنظامها وتشويه علاقتها بالإنسان، كذلك إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، فأن يكون إستهلاك الكلب في العالم الأول عشرة دولارات في اليوم ونصف سكان الأرض يعيشون على إستهلاك دولارين أو دولار واحد في اليوم، أليس هذا تعدياً على حقوق الإنسان؟ ثم يمارسون الطقوس الدينية ويتسابقون على بناء دور العبادة ويغالون في الصلاة والصيام وكأن الله يريد منهم تكاليف تركزهم في خانة العبيد ولا يريد فهماً لنواميس هذا الوجود وإحترام تلك النواميس.

ألينا: عبادة الله عبر التناغم مع النواميس والقوانين الطبيعية والعقلية هذا هو الإيمان الصحيح وما عداه تكاليف وفرائض وطقوس باطلة الأباطيل.

طوني: الديانات السماوية لم تفعل شيء إلا تبغيض الناس بالحياة الدنيا وتصويرها وكأنها مسرحٌ للشيطان يجب الزهد فيها، الأمر الذي جعل الفقر فضيلة والتخاذل مكرمة وانتهى الى تكريس طقوس شكلية تركز المرأة عورة والرجل عبد للقضاء والقدر، وكل هذا أبعد الإنسان عن الله ولم يقربه منه فكيف نقرب من الله ونستضيء بنوره؟

سليمان: مشكلة كل الديانات أنها إعتبرت مسألة الخلاص مسألة فردية ولم تعرها أي أهمية إجتماعية عامة، فكيف لفرد أن يطلب الخلاص وهو يعيش في مجتمع موبوء بجراثيم الديكتاتورية والبيروقراطية وهيمنة طبقة رجال الدين على مسألة الأحوال الشخصية وإحتكارهم لأوقاف بمليارات الدولارات، متربعين شأنهم شأن الحكام على عرش إمبراطوريات إقتصادية قبل أن تكون مقاماً دينياً، كيف لفرد يعيش واقع فرز طبقي وديني وطوائفي وأثني يقسم الناس الى غني وفقير والى مؤمن وكافر، والى طائفة مهيمنة على الحكم وطوائف منبوذة، ورجال دين يجمعون الجماهير في دور العبادة ليمسحوا عقولهم الفردية ويستبدلوها بعقل جمعي ثم يلقنوهم تعاليم الحكام وليس تعاليم السماء، ولكي يقنعوهم أنهم من الجنة قاب قوسين أو أدنى، وهم يعيشون واقعاً مأساوياً رأس هرمة الفقر والجهل والمرض والكبت والتشرد.

صونيا: يعني كلامك أنّ الدولة العادلة هي التجسد الإلهي على أرض الواقع فهل الدولة القوية المنظمة المتوازنة في شرائحها الإجتماعية هي التجسد الإلهي وما عداها باطل الأباطيل؟

حسام: أمن أجل ذلك أطلقوا على أفلاطون إسم الفيلسوف الإلهي؟ أيكون أفلاطون أول من اكتشف هذه الحقيقة أنّ الله لا يتجلى إلا في دولة عادلة قوية تعطي المواطنين فرص متساوية لتحقيق إنسانيتهم عبر العلم والعمل، وكل واحد منهم يضع نفسه حيث أوصلته همته وإرادته، فيكون الفرز طبيعي نابع من إختيار الفرد وتحمله مسؤولية إختياره، ومن همته وتحمله مسؤولية نتائج همته، وبالتالي هو في المكان الذي إختاره لنفسه فلا مجال لعدم الرضى والتذمر والرفض، وكل ذلك من الناحية المعنوية، أما من الناحية المادية فالجميع متساوين كأسنان المشط وكلّ يأخذ حسب حاجاته، لا يوجد أفراد أغنياء كدسوا تعب الفقراء في أيديهم حتى أصبح رأسمالاً لهم إغتنوا به، ولا يوجد فقراء سُرق منهم تعبهم ليتكدس في جيوب الآخرين.

سليمان: طالما أنّ هناك أفراد يشعرون بأنهم مظلومين وبأنهم ليسوا في المكان الذي يستحقون، طالما هناك وسوسة للشيطان في نفوس أولئك الأفراد، وطالما أنّ هناك إحساساً بالغبن والحرمان والكبت والظلم هناك أناس مستعدون للثورة والهدم والإنتقام لقاء أول فرصة تسنح لذلك، وطالما أنّ هناك أنظمة سياسية ودينية تكبت

المشاعر ولا تهذبها وتحجر على العواطف ولا تشذبها، هناك إندفاع الى الرذائل والشذوذ وصولاً الى العنف والإغتصاب وميلاً الى الإباحة.

ربيعة: أفهم من كلامكم أنّ الإنسان كائن إجتماعي لا يمكن تصور خلاصه من وحدة الفقر والجهل والكبت والحرمان إلا في إطار بناء مجتمع الكفاية والمعرفة والعدل، مجتمع الفرص المتساوية أمام الجميع للتطور والإرتقاء، المجتمع المؤلف من أفراد مترابطين متضامنين كحلقات السلسلة إذا هزرت أي حلقة إهتزت السلسلة بأكملها، ليس ذلك هو المجتمع الذي يصح أن نسميه المجتمع العضوي، ليس ذلك هو محاكاة الخالق في مخلوقاته، فالكون المتعدد الموجودات هو وحدة مترابطة متضامنة، كل موجود فيها يؤثر ويتأثر بالموجودات الأخرى، أليست وحدة هذا الكون هي البوصلة التي تدل على أنّ الله واحد أحد فرد صمد منزّه عن الإزدواج والعدد؟

طوني: جسد الإنسان هو تعدد أعضاء داخل وحدة الجسد، جسد الكون هو تعدد مجرات وكواكب وذرات داخل وحدة الكون، الله واحدٌ أحد، قال فيثاغورس أنّ الأعداد كلها إنبثقت من الواحد والى الواحد تعود في دوائر تاسوعية ولهذا السبب سمى أفلوطين كتابه التاسوعيات، هل هذه ألغاز أم حقائق؟

حسام: أنا لا أستطيع أن أتصور الله خارج رؤية الجمال، وبما أنّ الجمال هو تناسق وتناغم ونظام وتنظيم، لا أستطيع أن أتصور الله في قلب إنسان ولا يوجد تناغم بين عقله وخياله وقلبه وغريزته، أو في مجتمع تحكمه الفوضى والتنافر والتباغض بين طبقاته وأثنياته وطوائفه وأديانه وثقافته، مجتمع تحكمه طبقيه بغيضة تجعل قلة من الأغنياء شرهين على تكديس المال بالقناطر المقنطرة، وكثرة من الفقراء الحاقدين الموتورين الذين يتحينون الفرص للسلب والنهب والإغتصاب والثأر والإنتقام، مجتمع تحكمه ديكتاتورية ترعى الناس بكرجاج التخويف والترهيب فتصادر عقولهم وحرّياتهم وتمتحن كراماتهم، وما عليهم إلا الخضوع والتصفيق والتهايل وتدبيج الخطب، أنا لا أستطيع أن أتصور الله خارج إطار العدالة بل إني أقول وبالفم الملآن لا مبرر لوجود الله خارج إطار العدالة والمحبة، الله هو العدالة الله هو المحبة الله

هو التضامن على الخير والترابط على الحق ولذلك الدولة العارفة هي العادلة هي التجسد العملائي لله.

صونيا: الله عدالة الله محبة، الدولة العادلة تجسد عملائي لله، دعونا نحاور الله وبنناجيه كصديق، كحبيب، كل كما يعرفه ويحبه ويتواصل معه.

طوني: وأنا المؤمن بالله حتى النخاع الشوكي، وأنا الذي أؤدي لك يا إلهي كل الفرائض والتكاليف والعبادات، دعني أسألك بعض الأسئلة التي طالما قضت مضجعي وجعلتني أغرق في بحر الشكوك والحيرة والأوهام، هل إختص كوكب الأرض وحده دون بقية الكواكب بوجود ذلك المخلوق العاقل الحرّ المرید المسؤول الذي أسمه الإنسان؟ أم أنّ هناك كواكب أخرى مأهولة كما كوكب الأرض؟ إذا كان الجواب سلباً فما فائدة خلق كل تلك المجرات وكل تلك الكواكب طالما الموجود الواعي الوحيد متواجداً فقط على كوكب الأرض، هل يمكن أن تكون قد خلقت كل ذلك عبثاً للتسلية؟ هل أنت أيضاً من أتباع العبثية، أم أنّ كل تلك الكواكب والمجرات لها تأثيرٌ مباشر على ذلك الإنسان خليفتك على هذا الوجود؟

شيءٌ آخر يحيرني إلهي الذي أنحني أمامك خشوعاً وإستسلاماً لقضائك، هل كوكب الأرض هو أشرف الكواكب وكل الكواكب والمجرات الأخرى مسخرٌ لخدمته لأنه الكوكب الوحيد الذي أشرق نورك فيه فكان الإنسان؟ وإذا كان كوكب الأرض هو الأشرف لأنه يحتوي على غاية الوجود الذي هو الإنسان فلماذا كل هذا العنف والظلم والمرض على كوكب الأرض؟ لماذا تُترك هذا الكوكب مسرحاً لإبليس ينشر فيه الفوضى والإستبداد والألم والخيبة؟ إلهي.. كل الأديان تقول أنك نورٌ محض وحقٌ وخيرٌ وجمال وعدالة ومعرفة وحرية، وكل الأديان تقول أنك أنت الخالق، فكيف لخالق نوراني أن يخلق من لدنه إبليساً ظلماني؟ كيف لخالق النظام أن يخلق من لدنه فوضى، كيف لخالق العدالة أن يخلق من لدنه ظلماً وإستبداداً؟

والأدهى من كل ذلك كيف فوضت يا إلهي الإبليس الذي خلقتة كل شؤون هذه الأرض، والتي تقول كل الأديان أنّ كل موجودات هذا الوجود مسخرٌ لخدمتها بسبب النور الذي فيها وهو الإنسان؟

أ يكون إبليس هو السيد الحقيقي لكوكب الأرض ومصير الإنسان في يديه يتصرف به على هواه فمرة يزرع العداوة بين الأديان ومرة يقسم الأديان الى مذاهب متناحرة، ومرة يخترع مقولة العرق ويزرع العداوة بين الأعراق، ومرة يبتدع بدعة القوميات ويزرع العداوة بين القوميات، ومرة يقسم المجتمع الى طبقات ويبقى الصراع مستمراً والدم مسفوحاً والألم سيد المواقف، والناس كل الناس تتلذذ بتعذيب بعضها البعض، وعندما لا تجد من تعذبه تعذب نفسها بنفسها، إلهي كيف أرسلت ابنك يسوع المسيح الذي هو أقنوم منك ويحمل كل خصائصك وهو مساوٍ لك، وجعلت إبليس يصعد به الى الجبل ليمتحنه فيغريه بملكية المال والسلطة على أن ينكرك وينكر الرسالة التي أتى من أجلها، هل معنى ذلك أن مملكة الأرض يسودها إبليس، يهبها لمن شاء ويصرفها عن شاء؟ هل إبليس المخلوق يمتحن ويجرب ويغري المسيح الخالق؟ وهل أنت الذي خلقت منطوق العقل تعود لتضرب به عرض الحائط، فالمخلوق يمتحن الخالق والمخلوق يجرب الخالق؟

ألينا: إلهي الذي أعبدك بصدق وإخلاص، لا أترك فريضة من فرائضك إلا وألتزم بها، ولا تكليفاً من تكاليفك إلا وألتزم به، ولكني دائماً أسأل لماذا كل تلك الفرائض والتكاليف، لماذا لا يكون هناك صداقة ومحبة، لماذا تصر على التبعية والعبودية، لماذا تصر أن تكون العليّ الأعلى، الغضوب المهاب الدقيق الحساب فلكل فعل ردة فعل تساويه في القوة، ولماذا يا إلهي سمحت بنقل مهابتك الى الحكام الذين إستغلوا أبشع إستغلال فملأوا الدنيا خوفاً ورعباً وإرهاباً وترهيباً، والخوف الذي نشره علم الناس الكذب والنفاق فأصبح الظاهر غير الباطن والمعلن غير المضمّر، فساد الهرج والمرج وانقسم الناس الى أسياد وعبيد ومنتفذين وعسس وأزلام وفحول وغلمان.

شيء آخر أريد أن أسألك عنه وأنا راقصة التانغو البارعة التي تستدر إعجاب المشاهدين وتصفيقهم، إني وأنا أرقص أشعر بأن جسدي تحول من مادة كثيفة الى قالب من نور لطيف شفاف يكاد يتحرر من جاذبية الأرض ليطير في الأفق الى الأعلى، وأحس في أعماقي أنني أكثر نظافة وأكثر طهارة وأكثر قرباً منك، لماذا مسؤولي أديانك إعتبروا الرقص فناً يحاكي الغرائز ويستدر الشهوات، لماذا تنوقد

الرغبات المحمومة في صدور الرجال وهم يتلذذون برؤية جسد امرأة يتلوى، لقد قرأت في الفيديا الهندية أنّ الرقص طقسٌ من طقوس العبادة فهو قربان يقدم أمام تمثال براهما، فكيف سمحت لما كان مقدساً أن ينحدر الى عالم الرغبات والشهوات، كيف سمحت لفنّ كانت غايته تشفيف الجسد والنفس لتزداد طهارة، أن يصبح وسيلةً يستعملها إبليس ليسترهن بها قلوب الرجال، إلهي بصراحة بت أشك بأن بكر خليقتك هو العقل وبأنك خاطبته قائلاً، من أحبك فقد أحبني ومن بغضك فقد بغضني، بك تبلغ المنازل العالية.

صونيا: ما هذه الشكوك السودانية وهذا الجدل الذي ظاهره طاعة وباطنه معصية، صحيح أنّ العقل البشري مزدوج ما بين نورٍ وظلمة وطاعة ومعصية وإقبال وإدبار ويقين وشكوك، ولكن دعونا ننهي هذا الحوار ببوح وجداني يشبه بوح الصوفيين أمثال البسطامي والرومي والجنيد والسهروردي، دعونا نقدم آيات الحمد والشكر والرضا والتسليم لنستحق أن نكون أبناء بررة لأبينا الذي في السموات، الذي ملأ نوره كل الوجود من القوانين التي تتحكم بدوران الإلكترونات داخل الذرات الى القوانين التي تتحكم بدوران الأفلاك وتنظيم ولادة وموت الكواكب والمجرات.

ربيعة: يا إلهي وحببي ومولاي المعبود،

بعزة هواي الذي هوى من لذنك، وبعزة ذلي في عالم هواك، وبهذه العيون التي إغرورقت رقّةً وصبايةً فسمت ودخلت في عالم عشقها المتألق، زدني جذوةً من نارك الموقدة التي جعلتها برداً وسلاماً في قلوب محبيك،

إلهي ألم يأن لنا نحن عشاق جمالك المخلصين، أن ننتيه ونختال ونمشي مرحاً في الأرض، ونرقص كما الفراش حول كوكب جمالك الدرّي، فتذهب عنا أشرط العبودية ونتحقق بالحقّ ونتطهر من حمأة الطين اللازب ونحن متزملون به، فقد رُفعنا عن النسبة بالنسبة وأصبح كل محب منا مرآة محبوبه يراه من حيث هو لا من حيث المحبوب.

حسام: إلهي أتوجه إليك بقلبي وعقلي وضميري، عزيزاً بالوقوف بين يديك، لا ذلة لمن إستنشق عبير زهورك، زهور جنتك التي هي المعرفة وفردوسك الذي هو

المحبة، إلهي وأنا المخلص في خشوعي إجذبني الى منابع كوثر قربك لأسمع بوح عقلك الكلي، إجذبني لأنتشي في فرحتي وأنا أحس أنك تنطق بلساني إذا ما نطقت، وتسعى بقدمي إذا ما سعيت وتأخذ بيدي إذا ما أخذت وتنظر بعيني إذا ما نظرت، إلهي ما أسعد قلبي أحيان يناديك يا إلهي، فهو دائم الشوق لا عن بعد بل لأنه إنتشى ببارك الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فأحترق الصلصال الكثيف ولم يبق إلا الروح اللطيف الذي ينجيك ولا يفتأ ينجيك..

أمنت بجلال جمالك مولاي ولم أك كافراً، وكفرت بجمال الشهوات العرضية ولم أك مؤمناً، وظنّ بي الناس لأنني تهت بجمالك ظنّ السوء، وحسبوا ذلك البوح إنجاباً الى الجمال المحسوس الجزئي الفاني، هم لم يتذوقوا جمالك الكلي المجرد الخالد، ولا نفوسهم ذكرت يوسفها ليتعرفوا على جوهر الجمال.

صونيا: إلهي.. حبيبي.. معبودي الغالي،

أشكرك في السرّ وأشكرك في العلانية، أشكرك لأنك أعطيتني نعمة الإيمان فلا تزر وازرة وزر أخرى، وأنّ لكل إمريء ما سعى،

أشكرك لأنني أثق بعدالتك فإنما هي أعمالنا ترد علينا سلباً أو إيجاباً، أشكرك لأنك مننت عليّ بنعمة التوبة والغفران فترأفت بي وسامحتني وأعطيتني الفرصة تلو الفرصة لأجعل الأعوج مستقيماً والضال مهتدياً والمقبل على المعصية مقبلاً على الطاعة، أشكرك لأنك أعطيتني نعمة العقل وأردفتها بنعمة الحرية وجعلتني أختار أعمالي وأقوالي بصحة من عقلي وجسدي، مخيرةً غير مكرهة ولا مجبرة، فسبحان الذي علمني أنّ الحرية هي الوجه الآخر للعقل وأنّ المسؤولية هي ميزان الحرية وثمره اليقظة العقلية، اللهم أشكرك على نعمك وآلائك، اللهم بالكلمة الأزلية التي تجسدت لحمًا ودمًا حياً إجعلني من أصحاب المعرفة والحكمة واملاً قلبي محبةً ورحمةً وتسامحاً وعدالة.. أنت يا أرحم الراحمين اللهم آمين.

سليمان: اللهم نشكرك لأنك جعلت العقل طريقاً للوصول إليك، فكان العقل هادياً نهتدي بحقائقه المزروعة في جبال نفوسنا الى السراط المستقيم، هو الذي علمنا أنك موجودٌ أقرب إلينا من حبل الوريد، لا يحجبك عنا إلا سوء أعمالنا، فإذا تطهرنا

من عتمة الجهل وتصنم الإستكبار، وجدناك متربعاً على عرش قلوبنا تنطق بألسنا وترنو بعيوننا، وهو الذي علمنا أنك منزلة لا تحيط بك عقولنا، نعرفك على قدر مرتبتنا في نعمة توحيدك، تلك المرتبة التي لا تورث ولا تشتري بالمال، ولكن تكتسب بكرم الأخلاق ويقين الاعتقاد، اللهم بألق نورك الشعشعاني الذي لا ينقطع فيضه عن عقلك الكلي طرفة عين، أعطنا يقين الإيمان ونعمة التفكير المنطقي، إجمعنا على قول الحق، ووجدنا على عمل الخير، واجعلنا من أبناء النور، أطرد ظلمة الباطل من قلوبنا، وهبنا الشجاعة لنحطم أصنام التخلف والتناذب والتشرذم والتبعية من صفوفنا، اللهم خذ بيدنا الى نعيم الحق والخير والجمال والعدالة أنت يا جابر عثرات الكرام يا رحمن يا رحيم.